

٤٧٩ . ٨١٨ . ١١٥ ١٩٠٤٤٢٣٧

٧٩٦ . ٨٦٦ . ١١٣ ١٩٠٥٤١١٦

٨٩٦ . ١٦١ . ١٠٨ ١٩٠٦٣٩٧٥

٠٩٦ . ٠٠٠ . ١١٦ ١٩٠٧٤٢٦٧

٤١٠ . ٤١٣ . ١٠٨ ١٩٠٨٣٧٩٥

بيروت

حبيب جرجي كحالة

أوضاع الدولة الفاطمية

مقتبسة من الدروس التي يلقيها الشيخ محمد الخضري مدرس

تاريخ الأمم الإسلامية في الجامعة المصرية

الصناعة والأسطول

الصناعة هي المكان الذي أعد لإنشاء المركب البحرية وهي بنصر على قسمين نيلية وحرية فالحرية هي التي تنشأ لغزو العدو وتشنح بالسلاح وآلات الحرب والمقاتلة فتتم من نهر الإسكندرية ونهر دمياط وتيس والفرما إلى جهاد الروم والفرنج وهي التي كان يقال لها الأسطول وأما النيلية فإنها تنشأ لتمر في النيل صاعدة إلى أعلى الصعيد ومنحدرة إلى أسفل الأرض لحمل الغلال وغيرها.

ولم يكن غزو في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا في عهد الشيخين أبي بكر وعمر وكان عمر يكره الغزو فيه ويراد مخاطرة وكتب إلى عمرو بن العاص وهو على مصر أن صف في البحر وراكبه فإن نفسي تنازعني إليه وأنا أشتهي خلافها فكتب إليه يا أمير المؤمنين إني رأيت البحر خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير ليس إلا السماء والماء وإن ركذ حزن القلوب وإن أزل أزع العقول يزداد فيه اليقين فلة والشك كثرة هم

فيه كدود على عود إن مال غرق ون نجا برق. فقال عمر: لا والذي بعث محمداً بالحق لا أحمل فيه مسلماً أبداً.

وأول غزو فيه كان في عهد عثمان وأول غاز معاوية بن أبي سفيان أذن له به عثمان على شرط أن ينتخب الناس ولا يفرع بينهم فمن اختاروا الغزو طانعا جملة وأعانته وغزا عبد الله بن سعد أمير مصر سنة ٣٤ في وقعة ذات الصواري وكانت له. وكان ذلك سبباً لاهتمام المسلمين بإنشاء المراكب الحربية فبعث عبد الملك بن مروان لما ولي الخلافة إلى عامله على أفريقية حسان بن العمان بأمره باتخاذ صناعته بتونس ومنها كانت غزوة صقلية في أيام زيادة الله الأول بن إبراهيم بن الأغلب على يد شيخ القيا أسد بن الفرات.

قال ابن خلدون وذكر تعليل امتناع المسلمين ركوب البحر للغزو في أول الأمر والسبب في ذلك أن العرب لبدأوتهم لم يكونوا أول الأمر مهرة في ثقافته وركوبه والروم والفرنجية لممارستهم أحواله ومرباعهم في القلب على أعواده مرونا عليه وأحكوا الدربة بثقافتهم.

فلما استقر الملك للعرب وشيخ سلفاتهم وصارت أمم العجم حولاً لهم وتحت أيديهم وتقرب كل ذي صعة إليهم بمبلغ صناعته واستخدموا من النواتية في حاجاتهم البحرية أمماً وتكررت ممارستهم للبحر وثقافته واستحدثوا بصراً بما فتقت أنفسهم إلى الجهاد فيه وأنشوا السفن والشواني وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح وأمطوها العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من أمم الكفر واحتصروا بذلك من ممالكهم وثغورهم ما كان أقرب إلى هذا البحر وعلى ضفته مثل الشام وأفريقية والمغرب والأندلس.

وأول ما أنشئ الأسطول في مصر في خلافة المتوكل على الله العباسي عندما نزل الروم على دمياط سنة ٢٣٨ فملكوها وقتلوا بها جمعاً كثيراً من المسلمين وسبوا

النساء والأطفال ومضوا إلى تيس فأقلعوا بأشتمها فوقع الاهتمام من ذلك الوقت بأمر الأسطول وصار من أهم ما يعمل بمصر وأنشئت الشواني برسم الأسطول وجعلت الأرزاق لغزاة البحر كما هي لغزاة البر وانتدب الأمراء له الرماة فاجتهد الناس بمصر في تعليم أولادهم الرماية وجميع أنواع المحاربة وانتخب له القواد العارفون بمحاربة العدو وكان لا يتزل في رجال الأسطول غثيم ولا جاهل بأمور الحرب هذا وللناس إذ ذاك رغبة في جهاد أعداء الله وإقامة دينه. لا جرم أن كان لخدم الأسطول حرمة ومكانة وكان ولكل أحد من الناس رغبة في أنه من جملتهم فيعى بالوسائل حتى يستقر فيه.

وكانت الغزوات بين المسلمين والروم سجالاتاً يتال المسلمون من العدو ويتال العدو منهم ويأسر بعضهم بعضاً لكثرة هجوم أساطيل المسلمين على بلاد العدو فإنها كانت تسير من مصر ومن الشام ومن أفريقية فلذلك احتاج الخلفاء العباسيون إلى الفداء ولم يقع فداء في عهد الدولة الأموية وإنما كان ينادى بالنفر بعد النفر في سواحل الشام ومصر والإسكندرية وبلاد ملطية وبقية الثغور الحزرية إلى أن كانت خلافة الرشيد. فوجد أول فداء بين المسلمين والروم سنة ١٨٩ وآخر فداء كبير كان سنة ٣٣٥ في خلافة المطيع فهي عهد الدولة الإخشيدية بمصر والذي شرع فيه هو الإخشيد محمد بن طنج.

وقويت العناية بأمر الأسطول في مصر منذ قدم المعز لدين الله وأنشأ المراكب الحربية واقتدى به بنوه وكان لهم اهتمام بأمور الجهاد واعتناء بالأسطول وواصلوا إنشاء المراكب بمدينة مصر والإسكندرية ودمياط من الشواني الحربية والشلنديات والمسطحات وتسيرها إلى بلاد الساحل مثل صور وعكا وعمقلان وكانت جريدة قواد الأسطول في آخر أمرهم تزيد على خمسة آلاف مدونة منهم عشرة أعيان يقال

لهم القواد وتصل جامكية كل واحد إلى ٢٠ ديناراً ثم إلى ١٥ ثم إلى عشرة ثم إلى ثمانية ثم إلى دينارين وهي أقلها.

ولهم إقطاعات تعرف بأبواب الغزاة بما فيها من التطرون وكان يعين من القواد العشرة واحد فيصير رئيس الأسطول ويكون معه المقدم والقادس فإذا سار إلى الغزو كان هو الذي يقلع لهم وبه يقتدي الجميع فيرسون بإرساله ويقلعون بإقلاعه ولا بد أن يقدم على الأسطول أمير كبير من أعيان أمراء الدولة وأقوامهم نفساً ويتولى النفقة في غزاة الأسطول الخليفة بنفسه بحضور الوزير فإذا أراد النفقة فيما تعين من المراكب السائرة (كانت في أيام المعز تزيد عن ٦٠٠ قطعة وآخر ما صارت إليه في آخر الدولة نحو ٨٠ شونة وعشر مسطحات وعشر حمالة فما تقصر عن مائة قطعة) فيتقدم إلى النقباء بإحضار الرجال فيجتمعون وكانت لهم المشاهرات والجرايات في مدة أيام سفرهم وهم معروفون عند عشرين عريفاً يقال لهم النقباء فإذا اجتمعوا أعلم النقباء المقدم فأعلم بذلك الوزير فطالع الخليفة فيقرر يوماً للنفقة فيحضر الوزير بالاستدعاء من ديوان الإنشاء على العادة ويجلس الخليفة على هيئته في مجلسه ويجلس الوزير في مكانه ويحضر صاحباً ديوان الجيش وهما المستوفي والكاتب فيجلس المستوفي من داخل عتبة المجلس ولجانبه من وراء عتبة الباب كاتب الجيش في قاعة الدار وشرط هذا المستوفي أن يكون عدلاً من أعيان الكتاب وأما الكاتب فكان في غالب الأمور يهودياً.

فإذا تمياً المال أدخل الغزاة مائة مائة فيقفون في أخريات من هو واقف للخدمة من جانب واحد نقابة نقابة وتكون أسماؤهم قد رتبت في أوراق لاستدعائهم بين يدي الخليفة فيستدعي المستوفي من تلك الأوراق المنفق عليهم واحداً واحداً فإذا خرج اسمه عبر من الجانب الذي هو فيه إلى الجانب الآخر فإذا تكملت عشرة وزن الوازنون لهم

الفقة لكل واحد خمسة دنانير فيسلمها له النقيب وتكتب باسمه ويده وهكذا إلى الآخر وإذا تم ذلك ركب الوزير بين يدي الخليفة وانفض الجمع.

وإذا تكاملت النفقة وجهزت المراكب وقيأت للسفر ركب الخليفة والوزير إلى ساحل النيل بالمقس عند منطرة المقس فيجلس فيها الخليفة يرسم وداع الأسطول ولقائه فإذا جلس للوداع جاءت القواد بالمراكب من مصر للحركات بين يديه وهي مزينة بأسلحتها ولجودها وما فيها من المحيقات فيرمي بها وتحدر المراكب وتقلع وتفعل سائر ما تفعله عند لقاء العدو ثم يحضر المقدم والرئيس بين يدي الخليفة فيودعهما ويدعو للجماعة بالنصر والسلامة ويعطي للمقدم مائة دينار وللرئيس عشرين وينحدر الأسطول إلى دمياط ومن هناك يخرج إلى البحر فيكون له ببلاد العدو صيت عظيم ومهابة قوية.

والعادة أنه إذا غنم الأسطول ما عسى أن يغنم لا يتعرض السلطان إلى شيء منه إلا ما كان من الأسرى والسلاح فإنه للسلطان وما عداهما من المال والنياب ونحوهما فإنه لغزاة الأسطول ولا يشاركهم فيه أحد. وإذا قدم الأسطول خرج الخليفة أيضاً لمنطرة المقس وجلس فيها للقاءه.

ولم يزل الأسطول على ذلك إلى أن كانت وزارة شاور ونزل ملك الإفرنج على بركة الحبش فأمر شاور بتحريق مصر وتحريق مراكب الأسطول فحترقت ونهبها العبيد فيما نهبوا. ولها ذكر يعود في ذكر الدولة الأيوبية وقد كان بمصر صناعات (ترسانات)

(١) وهي أقدم الصناعات صناعة الجزيرة بنت سنة ٥٤ هـ ثم اعتنى أحمد بن طولون بإنشاء المراكب الهربية في هذه الصناعة وأطافها بالجزيرة ولم ترل هذه الصناعة إلى أيام الإخشيد فحول موضعها إلى بستان المختار.

(٢) صناعة مصر بناها الإخشيد وكان موضعها يعرف بدار بنت الفتح بن خاقان زوج أحمد بن طولون والسبب في نقل الصناعة أنه رأى أن صناعة بحول بينها وبين صاحبها الماء ليست بشيء فحول الصناعة إلى ساحل مصر سنة ٣٢٥ وكان إذ ذاك عندها عندها سلم يزل منه إلى الماء وكانت مراكب الأسطول مع ذلك تنشأ في الجزيرة وفي صناعتها إلى أيام الأمر فلما ولي المأمون بن البطاحي أنكر ذلك وأمر أن يكون إنشاء الشواني والمراكب النيلية الديوانية بصناعة مصر وأنشأ بها منظره لجلوس الخليفة يوم تقدمه الأسطول ورميه فأقر إنشاء الحريات والشلديات بصناعة الجزيرة وكان بهذه الصناعة دهنير ماء بمصاطب مفروشة بالحصر العبدانية بسطاً وتأزيراً وفيها محل ديوان الجهاد وكان يعرف في الدولة الفاطمية أن لا يدخل من باب هذه الصناعة أحد راكباً إلا الخليفة أو الوزير إذ ركبا يوم فتح الخليج عند وفاء النيل ولم تزل هذه الصناعة عامرة إلى ما قبل سنة ٧٠٠ ثم صارت بستاناً.

(٣) صناعة المنس بناها علي قور ابنه أبي طي في تاريخه المعز لدين الله وأنشأ بها مئذنة مراكب لم ير مثلها في البحر على مينا.

وقال المسبحي أن العزيز بالله بن المعز هو الذي بنى دار الصناعة التي بالمنس وعمل المراكب التي لم ير مثلها فيما تقدم كبيراً وحسناً وفي سنة ٣٨٦ وقعت نار في الأسطول وقت صلاة الجمعة فاحترقت خمس عشاريات وأتت على جميع ما في الأسطول من العدة والسلاح حتى لم يبق منه غير ستة مراكب فارغة لا شيء فيها.

وكان العزيز قد أمر قبل موته بتحديد عمارة الأسطول فأنشئت مراكب بدل المحترقة بعناية السرعة وقد طرح في البحر بين أيدي الحاكم.

وكان في البهناوية وسفط يشن والأشمنين والأسوطية والأهنية والقوصية أشجار لا تحصى من سبط لها حراس يحمونها حتى يعمل منها مراكب الأسطول فلا يقع منها إلا ما تدعو الحاجة إليك وكان فيها ما تبلغ قيمة العود الواحد منه مائة دينار.

الخراج

لم يكن مقدار ما يجيء من الأراضي المصرية لعهد هده الدولة متساوي المبلغ في جميع أدوارها بل كان يزيد وينقص حسب الاهتمام بالإصلاح الذي هو أساس كثرة الجباية.

فقد كان الخراج في السنة التي دخل فيها جوهر القائد ٣ . ٤٠٠ . ٠٠٠ دينار في عهد الوزير الناصر للدين الحسن بن علي اليازوري وزير المستنصر أراد أن يعرف قدر ارتفاع الدولة وما عليها من النفقات ليقايس بينهما فتقدم إلى أصحاب الدواوين بأن يعمل كل منهم ارتفاع ما يجري في ديوانه وما عليه من النفقات فعمل ذلك وصلته إلى متولي ديوان المجلس وهو رمام الدواوين فتظم عليه عملاً جامعاً وأحضره إياه فرأى ارتفاع مصر ٠٠٠٠ . ٠٠٠٠ . ١ دينار يقف منها عن معلول ومنكسر على موتى وهراب ومفقودين ٠٠٠٠ . ٢٠٠٠ دينار ويبقى منها ٠٠٠٠ . ٨٠٠٠ دينار يصرف منها:

٠٠٠٠ . ٣٠٠٠ دينار للرجال عدا واجباكم وكساويهم.

٠٠٠٠ . ١٠٠٠ دينار ثمن غلة للقصور.

٠٠٠٠ . ٢٠٠٠ دينار نفقات القصور.

٠٠٠٠ . ١٠٠٠ دينار عمائر وما يقام للضيوف الواصلين من الملوك وغيرهم.

٠٠٠٠ . ٧٠٠٠ الجملة.

٠٠٠٠ . ١٠٠٠ بأن يحمل كل سنة إلى بيت المال المصون.

فحظي بذلك عند سلطانه وحف على قلبه وهذا هو ديوان الخاص وبعد موت
اليازوري انتهى ارتفاع الأرض العقلى إلى ما لا نسبة له من ارتفاعها الأول وكانت
قبل الفتن ٦٠٠.٠٠٠ دينار فانضع الارتفاع وعظمت الواجبات.

ولما صلحت البلاد في عهد أمير الجيش وولده الأفضل أمر الأفضل بعمل تقدير
ارتفاع مصر فجاء خمسة ملايين دينار وكان متحصل الأمراء مليون أردب.

وفي وزارة المأمون بن فاتك البطاخي سنة ٥٠١ وهو وزير الأمر رأى من اختلال
أحوال الرجال العسكرية والموظفين تضررهم من كون إقطاعاتهم قد خسر ارتفاعها
وان في كل ناحية الفواضل للديوان جملة تجبى بالعنف وتتردد الرسل من الديوان
الشريف بسببها فخطب الأفضل بن أمير الجيوش في أن يحل الإقطاعات ويروكها
وعرفه في أن المصلحة في ذلك تعود على المقطعين والديوان لأن الديوان يتحصل له
من هذه الفواضل جملة يحصل بها بلاد متوردة فأجاب إلى ذلك وحل جميع الإقطاعات
وراكها وأخذ كل من الأقوياء والمميزين يتضررون ويذكرون أن لهم بسائناً وأملاكاً
ومعاصر ونواحيهم فقال له من كان له ملك فهو باق عليه لا يدخل في الإقطاع وهو
محكم إن شاء الله باعه وإن شاء الله آجره فلما حلت الإقطاعات أمر الضعفاء من
الأجناد أن يترايدوا فيها.

فوقعت الريادة في إقطاعات الأقوياء إلى أن انتهت إلى مبلغ معلوم وكتبت السجلات
بأنها باقية بأيديهم إلى مدة ٣٠ سنة لا يقبل عليهم فيها زيادة وأحضر الأقوياء وقال
لهم: ما تكرهون من الإقطاعات التي كانت بيد الأجناد قالوا: كثرة عبرتها وقلة
متحصلها وخراجها وقلة الساكن بها فقال لهم: ابدلوا في كل ناحية ما تحمله وتقوي
رغبكم فيه ولا تنظروا في العبرة الأولى فعند ذلك طابت نفوسهم وترايدوا فيها إلى
أن بلغت الحد الذي رغب كل منهم فيه فاقطعوا وكتب لهم السجلات على الحكم

المتقدم فشملت المصلحة الفريقين وطابت نفوسهم وحصل للديوان بلاد متورة بما كان مفرقاً في الإقطاعات بما مبلغه ٥٠٠٠ دينار.

وفي سنة ٥١٥ في عهد المأمون صدر سجل يتضمن المساحة بالبواقي إلى سنة ٥١٠ ويبلغ ما انتهت إليه هذه المساحة إلى حين ختم السجل.

٢٠٧٢٠ . ٧٦٧ دينار.

٥٠٠ . ٦٧ ورق.

٢٣٩ . ٨١٠ . ٣ أردب غلة.

وغير ذلك كثير من الأصناف التي كانت تقبل بما الأرض وقد ذكرت متصلة في هذا السجل.

ولما انتهى إلى المأمون ما يعتمد في الدواوين من قبول الزيادات وفسخ عقود الضمانات وانقضاءها من كابد فيها المشقة والتعب وتسليةها إلى بادل الزيادة من غير كلفة ولا نصب أنكر ذلك ومنع من ارتكابه وخرج أمره بإعفاء الكافة أجمعين والضناء والعاملين من قبول الزيادة فيما يتصرفون فيه ويستولون عليه ما داموا مغلقين وبأقساطهم قائمين وتضمن ذلك منشور قرئ في الجامعين الأزهر بالقاهرة والعتيق بمصر وديوان المجلس والخاص الأميرين السعديين الخ.

الخراج

أصدر المأمون بن فاتك البطانحي وزير الخليفة الأمر بالله منشوراً بتساحة الأرض بعد أن تجاوز للزراخ عن الديون التي عليها للحكومة. وبعد أنه مسح الأرض وصل إليه مكاتبه من الرائي والمشارف ومن كان في صحته لكشف الأراضي والسواقي ومساحتها متضمنة ما أظهر الكشف وأوضحه على من يده السواقي وهم عدة كثيرة ومن حملتها ساقية مساحتها ٣٦٠ فداناً تشمل على النخل والكروم وقصب

السكر وخراجها في السنة عشرة دنانير وما يجري الأعمال هذا الخرى وأنهم وضعوا يد الديوان على جميعها وطلبوا من أرباب السواقي ما يدن على ما بين أيديهم تذكروا أنها انتقلت إليهم ولم يظهروا ما يدن عليها وقد صيروا ملاكها إلى الباب تحت الحوطة ليخرج الأمر بما يعتمد عليه في أرهم وعند وصولهم وقع الترسيم عليهم إلى أن يقوموا بما يجب من الخراج عن هذه السواقي فإن هذه الأملاك برمتها لا تقوم بما يجب عليها فوقف المذكورون للسامون يوم جلوسهم للمظالم فأمر بحضورهم بين يديه وتقدم إلى القاضي جلال الملك أبي الحجاج يوسف بن أيوب المغربي هو يومئذ قاضي القضاة مخاكتهم فجرى معهم مع مفاوضة أوجبت الحق عليهم وألزمهم بالقيام ما يستغرق أموالهم وأملاكهم فحصل من تضردهم ما أوجبت العاطفة عليهم وأخذهم بالخراج من بعد وأن يضرب صفحاً عما تقدم. وكتب بذلك المنشور يصح أن يسمى مبدأ إصلاح عظيم. وقد أباح فيه لكل من يرغب في عمارة أرض حلفاء دائرة ودائرة بئر مهجورة معطلة أن يسلك ذلك إليه. ويقاس عليه ولا يؤخذ منه خراج إلا في السنة الرابعة من تسليه إياه.

وكان ذلك المنشور سبباً لحصول الاجتهاد في تحصيل ما للديوان وعمارة البلاد وترقية الفلاحين.

وفي المنهاج في أحكام الخراج أن ارتفاع البلاد المصرية والفلسطينية والطرابلية سنة ٤٨٣ الهلالية الموافقة لسنة ٤٨٠ الخراجية كان ١٠٠٠ . ١٠٠٠ . ٣ دينار عينا وأن الذي كان يؤدى في سنة ٤٦٦ الهلالية الموافقة ٤٦٦ الخراجية قبل عهد بدر أمير الجيوش كان مبلغه ١٠٠٠ . ٢٠٨٠٠ دينار وكان الزائد للسنة الجيوشية عما قبلها ٣٠٠ . ١٠٠٠ دينار أعرب عن حسن العمارة وشمول العدل.

وحبي القاضي الموفق أبو الكرم بن معصوم التسي عينا خالصا إلى بيت المال بعد المئذ والكلف ٢٠٠٠ . ١ دينار ثم بعده لم يجها أحد هذه الجاية حتى انقرضت الدولة الفاطمية.

وفي أواخر الدولة أعيدت الأموال الهالكية التي كان ابن طولون أسقطها وطارت تعرف بالمكوس وكانت نحو مئة ألف دينار وهي التي أبطلها صلاح الدين. ومما يبين اهتمام الأفضل بن الحماني بعنارة البلاد أن أبا البركات بن أبي الليث رئيس ديوان المجلس رغب أن يتصحح على الأفضل بكثرة ما توفر عنده من الأموال وسأله أن يشاهده قبل جملة وذكرانه ٧٠٠ . ٠٠٠ ديناراً خارجاً عن نفقات الرجال فجعلت الدنانير في صناديق بجانب وجعلت الدراهم في صناديق بجانب آخر وقام ابن أبي الليث بين الصفيين فلما شاهد الأفضل ذلك قال لابن أبي الليث يا شيخ تفرحني بالمال وتربة أمير الجيوش إن بلغني أن بنراً معطلة أو أرضاً بائرة أو بلداً حراب لأضرب عنقك فقال: وحتى نمتك لقد حاشى الله أيامك أن يون بها بلد حراب أو بتر معطلة أو أرض بور فأبى أن يكشف عما ذكر.

دواوين المال

كان في الدولة الفاطمية جملة دواوين لبيان ما يرد على الدولة من المال وما ينصرف وكان بها نظام يسيرها على السداد فأولها ديوان المجلس (الخاص). وصاحبه هو المتحدث في الإقطاعات ويخضع عليه ينشأ له السجل والمرتبة والسند والدواة والحاجب ومعه جملة كتاب وفيه يحصر ما يخرج من الأنعام في العطايا والرسوم المعتادة في غرة السنة والضحايا والمرتب من الكسوات للأولاد والأقارب والجهات وأرباب المراتب على اختلاف الطبقات وما يرد من ملوك الدنيا من التحف

والهدايا وما يرسل إليهم من الملاحظات ومقادير الصلوات للمترسلين بالمكاتبات ثم يضبط ما ينفق في الدلة من المهمات ليعلم ما بين كل سنة من التفاوت وهذا بيان:

دينار

٣٠٠٠ الصرة المعتم بها في أول العام

٢٠٠٠ ثمن الضحايا

٧٠٠٠ ما ينفق في دار الفطرة فيما يفرق على الناس

١٠٠٠٠ ما ينفق في دار الطراز للاستعمالات الخاص وغيرها

٢٠٠٠ ما ينفق في مهم فتح الخليج غير المطاعم

٣٠٠٠ ما ينفق في سماط شهر رمضان

٤٠٠٠ ما ينفق في سماط الفطر والنحر

٣١٠٠٠ المجموع

وهذا خارج عما يطلق للناس أصافاً من خرائته من المآكل والمشرب والمواصلة من الهبات وما تخرج به الخطوط من التشريفات والمساحات وما يطلق من الأهراء من الغلات.

وفي هذه الخدمة كاتب متقل بين يدي صاحب ديوانه صلي ومعه كاتبان آخران لتزيل ذلك في الدفتر.

ديوان الرواتب

يشتمل هذا الديوان على أسماء كل مرتوق وجار وجارية وفيه كاتب أصيل لطراحة وفيه من الميضم والمعين نحو عشرة أنفس والتعريفات واردة عليه من كل عمل باستمرار من هو مستمر ومباشرة من اسجد وموت من مات ليوجب استحقاقه على النظام المستقيم وفي هذا الديوان عدة عروض.

الأول: يشتمل على راتب الوزير وهو في الشهر ٥٠٠٠ دينار ومن يليه من ولد وأخ من ٣٠٠ دينار إلى ٢٠٠ دينار ولم يقرر لولد الوزير ٥٠٠ دينار سوى شجاع بن شاور ثم حواشيهم على مفتضي عدتهم من ٥٠٠ إلى ٤٠٠ إلى ٢٠٠ خارجاً عن الإقطاعات.

الثاني: حواشي الخليفة وأولهم الأساتذة ائتمنون على رتبهم وحواري خدمهم التي لا يباشرها سواهم فرمام القصر وصاحب بيت المال وحامل الرسالة وصاحب الدفتر ومشاد التاج وزمام الأشرف والأقارب وصاحب المجلس لكل واحد منهم ١٠٠ دينار ومن دونهم ينقص عشرة دنائير حتى يكون آخرهم من له في الشهر عشرة دنائير وتزيد عددهم على ألف نفس ولطبيي الخاص لكل واحد خمسون ديناراً ولمن دونهما من الأطباء برسم المقيمين في القصر لكل واحد عشرة دنائير.

الثالث: يتضمن أرباب الرقب بحضرة الخليفة فأوله كان الدست الشريف وجاريه ١٥٠ ديناراً ثم حامل السيف وحامل الرمح لكل منهما ٧٠ ديناراً وبقية الأئمة على العساكر السودان من ٥٠ إلى ٩٠ إلى ٣٠ ديناراً.

الرابع: يشتمل على المستقر لقاضي القضاة ومن يليه لقاضي القضاة ١٠٠ دينار ومثله داعي الدعاء ولكل من قرأ الحضرة عشرون ديناراً إلى ١٥ إلى عشرة ولخطباء الجوامع من عشرين ديناراً إلى عشرة وللشعراء من عشرين ديناراً إلى عشرة.

الخامس: يشتمل على أرباب الدواوين ومن يجري مجراهم وأولهم من يتولى ديوان النظر وجاريه ٧٠ ديناراً وديوان التحقيق وجاريه ٥٠ ديناراً وديوان المجلس أربعون وصاحب دفتر الحبس ٧٠ ديناراً وكتابه خمسة دنائير وديوان الجيش وجاريه ٤٠ ديناراً والموقع بالقلم الجليل ٣٠ ولجميع أصحاب الدواوين الجاري فيها المعاملات لكل واحد عشرون ديناراً ولكل معين من عشرة دنائير إلى سبعة إلى خمسة.

السادس: يشتمل على المستخدمين بنصر والقاهرة لكل واحد منهم في الشهر خمسون ديناراً والحمأة بالأهراء والمناخات والجوالي والبساتين والأماك وغيرها لكل منهم عشرين ديناراً إلى ١٥ إلى ١٠ إلى خمسة دنانير.

السابع: الفراشون بالقصور يرسم خدمتها وتنظيفها خارجاً وداخلاً ونصب الستائر اغتاج إليها وخدمة المناظر الخارجة عن القصر فمنهم خاص يرسم خدمة الخليفة وعدتم ١٥ رجلاً منهم صاحب المائدة وحامي المطابخ من ٣٠ ديناراً إلى ما حولها وله رسوم متميزون ويقربون من الخليفة في الأيسطة التي يجلس عليها ويلبهم الرشاشون داخل القصر وخارجة ولهم عرفاء ويتولى أمره أستاذ من خواص الخليفة وعدتم نحو ٣٠٠ رجل وجاريهم من ١٠ إلى خمسة دنانير ومقدموهم أصحاب ركاب الخليفة وعدتم اثنا عشرة مقدماً منهم مقدم المقدمين وهو صاحب الركاب السنين ولكل هؤلاء التقديمين في كل شهر ٥٠ ديناراً ولهم نقباء من جهة المذكورين يعرفونهم وهم مقررون جوقاً على قدر حواريتهم. جوقة لكل منهم خمسة عشر ديناراً وجوقة لكل منهم عشرة دنانير وجوقاً لكل منهم خمسة دنانير ومنهم من يتدب في الخدم السلطانية ويكون لهم نصيب في الأعمال التي يدخلونها وهم الذين يحملون الملحقات لركوب الخليفة في المواسم وغيرها.

وأول من قرر العطاء لغلمانه وخدمه وأولادهم الذكور والإناث ولسانتهم وقرر لهم أيضاً الكسوة العزيز بالله. هذه كانت العروض أو بعبارة أخرى فصول الميزانية.

الميزانية

إذا انقضى عيد النحر من كل سنة تقدم بعمل الإستمارة لتلك السنة تمام ذي الحجة منها فيجتمع كتاب ديوان الرواتب عند متوليه وتحمل العروض إليه فإذا تحورت نسخة التحرير بيضت بعد أن يستدعي من المجلس أوراق بالإدرار الذي يقبض بغير

خرج وفي الإدراج ما هو مستقر بالوجهين فيصاف هذا المبلغ بجهاته إلى المبالغ المعلومة بديوان الرواتب وجهاتها حتى لا يفوت من الاستيثار شيء من كل ما تقرّر شرحه ويعلم مقداره عينا وورقاً وغلة وغير ذلك فيكتب ذلك مكله بأسماء المرتزقين وأولهم الوزير ومن يلوذ به وعلى ذلك إلى أن ينتهي الجميع إلى أرباب الصر فإذا أكمل استدعي له من خزانة الفرش وطاء حرير يشده وشرابة لإمساكه إما حضراء أو حمراء. ويعمل له صدر من الكلام اللاتق بما عده فإذا فرغ من ذلك حمل إلى صاحب ديوان النظر إن كان. وإلا فلصاحب ديوان المجلس ليعرضه على الخليفة إن كان مستبداً أو الوزير لاستقبال المخرم من السنة الآتية في أوقات معلومة فيتأخر في العرض وربما يستوعب المخرم ليحيط العلم بما فيه فإذا كمل العرض أخرج إلى الديوان. وقد شطب على بعضه وكان ينقص قوم للاستكثار يراود قوم للاستحقاق ويصرف قوم ويستخدم آخرون على ما كانت تقضيه الآراء في ذلك الوقت ثم يسلم لرب هذا الديوان وعلامة الإطلاق خروجه من العرض.

وقيل أنه عمل مرة في أيام المستنصر فلما استؤذن على عرضه قال هل وقع أحد بما فيه فقيل له معاذ الله يا مولانا ما تم إنعام إلا لك. ولا رزق من الله إلا على يديك فقال ما يتقضى به أمرنا. ولاحظنا ما صرفناه في دولتنا بأذننا. وتقدم إلى كاتب الإنشاء بامضائه للناس من غير عرض. ووقع عن الخليفة بظاهره. الفقر مر المذاق، والحاجة تدل الأعناق، وحراسة النعم بإدراج الأرزاق، فليجروا على رسومهم في الإطلاق. ما عندكم ينفذ وما عند الله باق.

ووقع على خلافة الحافظ على استيثار الرواتب ما نصه: أمير المؤمنين لا يستكثر في ذات الله كثير لإعطاء ولا يكرره بالتأخير له والتسوية والإبطاء ولما انتهى إليه ما أرباب الرواتب عليه من القلق للامتناع عن إيجابهم وحمل خروجهم قد ضعفت

قلوبهم وقلقت نفوسهم وساءت ظنوتهم شملهم برحمته ورافته وأمنهم مما كانوا وجلين من مخافته وجعل التوقيع بذلك بخط يده تأكيداً للأتعام والمن. وقتنة بصدقة لا تتبع بالأذى والمن. فليعتد في ديوان الجيوش المنصورة إجراء ما تضمن هذه الأوراق ذكرهم على ما ألفوه وعهدوه من روايتهم وإيجاباتها على سيافها لكافتهم. من غير تأويل ولا تعنت ولا استدراك ولا تعقب ويجروا في مسياتهم على عاداتهم لا ينحل من أمورهم ما كان مبرماً. ولا ينسخ من أمرهم ما كان محكماً. كرماً من أمير المؤمنين وفعلاً مروراً وعملاً بما أخبر به عز وجل في قوله تعالى إنا نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً وليسخ في جميع الدواوين في الحضرة إن شاء الله تعالى ام.

قال المقرئ نقلالاً عن كتر الدرر في سنة ٤٦هـ عرض على الحاكم بأمر الله الإستمارة باسم المتفقيين والقراء والمؤذنين بالقاهرة. ومصر (القساط) وكانت الحملة كل سنة ٧١. ٣٣٣ ديناراً وثلث أو ربع دينار فأمضى جميع ذلك.

ديوان التحقيق

هو ديوان مقتضاه المقابلة على الدواوين وكان لا يتولد إلا كاتب خبير وله الخلع والمرتبة والحاجب ويلحق برأس الديوان وهو متولى النظر ويفضّر إليه في أكثر الأوقات.

ديوان النظر

هو أجل دواوين الأموال وصاحبه يتولى النظر على العمال والعزل والولاية ومن يده عرض الأوراق في أوقات معلومة على الخليفة أو الوزير ولم يرى فيه نصراني إلا الأحرز ولم يتوصل إليه إلا بالضمنان.

ولصاحب هذا الديوان الجلوس بالمرتبة والمسند وبين يديه حاجب من أمراء الدولة وتخرج له الدواة بغير كرسي وهو يندب المترسلين لطلب الحساب والحث على طلب الأموال ومطالبة أرباب الدولة ولا يعترض فيما يقصد من أحد من أرباب الدولة. وكانت دواوين المال بدار الإمارة بجوار مسجد ابن طولون إلى أن بنى الوزير يعقوب بن يوسف دار الوزارة الكبرى فنقلت إليه الدواوين وبعد موته نقلت إلى القصر ولم تزل به حتى استبد الأفضل أمير الجيوش وعمر دار الملك بمصر فنقل إليها الدواوين فلما قتل عادت إلى القصر ولم تزل به حتى انتهت الدولة الفاطمية.

ديوان الإنشاء

لما كانت مصر دار إمارة كان بها ديوان البريد ويقال لموليه صاحب البريد واليه مرجع ما ورد من دار الخلافة على أيدي أصحاب البريد من الكتب وهو الذي يطالع بأخبار مصر وكان للأمرء كتاب يشتم عنهم الكتب والرسائل إلى الخليفة وغيره فلما صارت مصر دار خلافة كان القائد جوهر يوقع على قصص المرافعين إلى أن قدم المعز لدين الله فوق بنفسه وجعل أمر الأموال وما يتعلق بها إلى يعقوب بن كلس وعسلوج بن الحسن فوليا أموال الدولة ثم فوض العزيز بالله أمر الوزارة ليعقوب فاستبد بجميع أحوال المملكة وجرى مجرى جعفر بن يحيى البرمكي مع الرشيد وكان يوقع ومع ذلك ففي أمراء الدولة من يلي البريد وجعل الأمر فيما بعد على أن الوزراء يوقعون وقد يوقع الخليفة بيده فلما كانت أيام المستنصر بالله وصرف أبا جعفر محمد بن جعفر المغربي عن وزارته أفرد له ديوان الإنشاء فوليه مدة طويلة وأدرك أيام أمير الجيوش بدر الجمالي. وصار يلي ديوان الإنشاء بعده الأكابر إلى أن انقرضت الدولة الفاطمية وهو بيد القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي اليساري الذي صار صاحب ديوان الإنشاء في الدولة الصلاحية.

قال المقرئ وكان لا يتولى ديوان الإنشاء إلا أجل كتاب البلاغة ومخاطب الشيخ
الأجل ويقال له كاتب الدست الشريف ويسلم المكاتبات الواردة محتومة فيعرضها
على الخليفة من بعده وهو الذي يأمر بتزيلها والإجابة عنها الكاتب وللخليفة
يستشير في أكثر أموره ولا يحجب عنه من قصد القول بين يديه وهذا أمر لا يصل
إليه غيره وربما بات عند الخليفة ليالي. وكان جاريه ١٢٠ دينار في الشهر وهو أول
أرباب الإقطاعات وأرباب الكسرة والرسوم والملاطفات ولا سبيل أن يدخل إلى
ديوانه بالقصر ولا يجتمع بكتابه أحد إلا الخواص وله حاجب من الأمراء والشيخوخ
وفراشون وله م رتبة هائلة والمخاد والمسند والدواة ولكنها بغير كرسي وهي من
أخص الدوي وبحملها أستاذ من أستاذي الخليفة.

وكان للخليفة كاتب التوقيع بالقلم الدقيق وهو كاتب يذاكر الخليفة فيما يحتاج إليه
من كتاب الله وتجويد الخط وأخبار الأنبياء والخلفاء فهو يجتمع به في أكثر الأيام.
ومعه أستاذ من المخكين مؤهل لذلك ولهذا الكاتب رتبة عظيمة تلحق برتبة كاتب
الدست.

ويكون صحبته للجلوس دواة محلاة فإذا فرغ من المجالسة ألقى في الدواة كاغداً فيه
عشرة دنابر وفوطاس فيه ثلاثة مثاقيل من مثلث خاص ليختر به عند دخوله على
الخليفة ثاني مرة. وله منصب التوقيع بالقلم الدقيق وله طراحة ومسند وفراش بقدر
ألبه ما يوقع عليه. وله موضع من حقوق ديوان المكاتبات لا يدخل إليه أحد إلا بإذن
وهو يلي صاحب ديوان المكاتبات في الرسوم والكساوي وغيرها.

أما التوقيع باسم الجليل فهي أيضاً رتبة جليلة ويقال لها الخدمة الصغرى ولها طراحة
والمسندان بغير فراش لترتيب ما يوقع عليه.

كانت الدولة إذا خلت من وزير صاحب سيف جلس صاحب الباب في باب الذهب بالقصر وبين يديه النقاء والحجاب فينادي المنادي بين يديه يا أرباب الظلمات فيحضرون فمن كانت ظلامته مشافهة أرسلت إلى الولاة والقضاة رسالة يكثفها من تظلم ممن ليس من أهل البلدين (مصر والقاهرة) أحضر قصة بأمره فيتسلمها الحاجب منه فإذا جمعها أحضرها إلى الموقع بالقلم الدقيق فيوقع عليها ثم تحمل إلى الموقع بالقلم الجليل فيقف على باب القصر ويسلم كل توقيع لصاحبه. فإن كان الوزير صاحب سيف جلس للنظام بنفسه وقبائه قاضي القضاة ومكن جانبه شاهدان معتبران ومن جانب الوزير الموقع بالقلم الدقيق ويليه صواحب ديوان المال وبين يديه صاحب المال وأسفسلار العساكر وبين أيديهما النواب والحجاب على طبقهم ويكون الجلوس بالقصر في مجلس المظالم في يومين من الأسبوع وكان الخليفة إذا رفعت إليه القصة وقع عليها (يعتمد ذلك إن شاء الله) ويوقع في الجانب الأيمن منها (وقع بذلك) فتخرج إلى صاحب ديوان المجلس فيوقع مكان جليلاً فيعلم عليها الخليفة وثبت وكانت علامتهم أباءً والحمد لله رب العالمين وكان الخليفة يوقع في المسامحة والتسوية والتحيس (قد أنعمنا بذلك) و (قد أمضينا بذلك) وكان إذا أراد أن يعلم ذلك الشيء الذي أهي وقع (ليخرج الحال في ذلك) فإذا أحضر إليه إخراج الحال علم عليه فإذا كان حينئذ وزير وقع الخليفة بخطه (وزيونا السيد الأجل وذكر نعمته المعروف به أمعا الله ببقائه يتقدم بنجاز ذلك إن شاء الله تعالى) وثبت في الدواوين خط الخليفة (يمثل أمير مولانا صلوات الله عليه) وثبت في الدواوين.

وكان بالقصر الكبير موضع يقال له السقيفة يقف عنده المظلمون وكانت عادة الخليفة أن يجلس هناك كل ليلة لمن يأتيه من المظلمين فإذا ظلم أحد وقف تحت

السقيفة ونادى بصوت عالٍ (لا إله إلا الله محمد رسول الله) عليه علي وبي الله
 فيسمعه الخليفة فيأمر بإحضاره إليه أو يفوض أمره إلى الوزير أو القاضي أو الوالي.
 ومن غريب ما وقع من المظالم في أيام الحافظ لدين الله أنه خرج من انتدب بعد
 انحطاط النيل من العدول والكتاب إلى الأعمال لتحرير ما شمله من الري وزرع من
 الأراضي وكتابة المكلفات فخرج إلى بعض النواحي من يمسحها من شاد وناظر
 وعدول وتأخر الكاتب ثم لحقهم وأراد التعدي ففر في الكاتب وسبه وقال أنا مسح
 هذه البلدة ومني حق التعدي فقال له الضامن إن كان زرع فخذة وقلع لجام بغلة
 الكاتب وألقاه في معدته فلم يجد بداً في دفع الجرة إليه حتى أخذ لجام بغلته فلما تم
 مساحة البلد وبيص مكلفة تلك المساحة ليحملها إلى دواوين الباب وكانت عادتهم
 كتب الجملة بزيادة عشرين فداناً وترك بياضاً في بعض الأوراق وقابل العدول على
 المكلفة وأخذ الخطوط عليها بالصحة ثم كتب بالبياض الذي تركه - أرض اللجام
 باسم ضامن التعدي عشرين فداناً قطعة - كل فدان أربعة دنانير عن ذلك ثمانون
 ديناراً وحمل المكلفة إلى ديوان الأصل وكانت العادة إذا مضى من السنة الخراجية
 أربعة أشهر ندب من الجند فيه حماسة وشدة ومن الكتابة العدول كاتب (نصراني)
 فيخرجون إلى سائر الأعمال لاستخراج ثلث الخراج على ما تشهد به المكلفات
 المذكورة فينفق في الأجناد وكل من العادة أن يخرج إلى كل ناحية ممن ذكر من لم
 يكن خرج وقت المساحة بل ينتدب قوم سواهم.

فلما خرج الشاد والكاتب والعدول لاستخراج ثلث مالية الناحية استدعوا أرباب
 الزرع ومنهم ضامن التعدي فلما أحضر الزم بأداء ٢ / ٣ ٢٦ دينار عن نظير ثلث
 المال الثمانين ديناراً عن خراج أرض اللجام فأنكر الضامن أن تكون له زراعة
 بالناحية وصدقه هل البلد فلم يقبل الشاد ذلك وكان عسوفاً وأمر به فضرب

بالمقارع واحتج بخط العدول على النمطكلفة وما زال به حتى باع معديته وغيرها وأورد ثلث المال الثابت في المكلفة وسار إلى القاهرة فوقف تحت السقيفة وأعلن بما تقدم ذكره فأمر الخليفة الحافظ بإحضاره فلما مثل بحضرته قص عليه ظلامته مشافهة وقص له ما اتفق منه في حق الكاتب النصراني وما كاده به فاحضر المتحدث في الدواوين وهو الموفق ابن الخلال وجميعه أرباب الدواوين وأحضر المكلفات التي عملت للناحية في عدة سنين ماضية وتصفحت بين يديه سنة فلم يوجد لأرض اللحام ذكر الية فحينئذ أثار الحافظ بإحضار ذلك الكاتب وأمر بأن يطاف به وأن يشهر في سائر الأعمال.

الحسبة والعيار

نقل المقرئ عن ابن طوير - وأما الحسبة فإن من تستند إليه لا يكون إلا من وجود المسلمين وأعيان المعدلين لأنها خدمة دينية وله استخدام النواب عنه بالقاهرة ومصر وجميع أعمال الدولة كنواب الحاكم وله الجلوس بجامعة القاهرة ومصر يوماً بعد يوم ويطوف نوابه على أرباب الحرف والمعاش ويأمر نوابه بالختم على قدور الهرايين ونظر لحمهم ومعرفة من جزأهم وكذلك الطباخون ويتبعون الطرقات ويتبعون من المضايقة فيها ويلزمون رؤساء المراكب أن لا يحملوا أكثر من وسق السلامة وكذلك مع الحماليين على البهائم ويلزمون السائقين بغطية الروايا بالأكسية ولهم عيار وهو ٢٤ دلواً وكل دلو أربعون رطلاً وأن يلبسوا السراويلات القصيرة الضابطة لعورتهم وهي رزق وينذرون معلمي الكتاتيب بأن لا يضربوا الصيان ضرباً مبرحاً ولا في مقتل وكذلك معلمو العلوم بتحذيرهم من التغرير بأولاد الناس ويقفون من يكون سيء المعاملة فينهونه بالردع والأدب وينظرون المكابيل والموازين وللمحتسب النظر في صاحب العيار ويخلع عليه ويقراً سجله بمصر والقاهرة على النير ولا مجال بينه

وبين مصلحة إذا رآها والولاية تشد معه إذا احتاج إلى ذلك وجاربه ٣٠ ديناراً في كل شهر.

وكان للعيار مكان يعرف بدار العيار تعير فيه الموازين بأسرها وجميع الصنج وكان ينفق على هذه الدار من الديوان السلطاني فيما يحتاج إليه من الأصناف كالححاس والحديد والخشب وغير ذلك من الآلات وأجر الصناع والمشارفين ونحوهم ويختصر المحتسب أو نائبه إلى هذه الدار ليعير المعنول فيها بحضوره فإن صح ذلك أمضاه وإلا أمر بإعادة هملته حتى صح وكان بهذه الدار أمثلة يصحح بها العيار فلا تباع الصنج والموازين والأكيال إلا بهذه الدار ويحضر جميع الباعة إلى هذه الدار باستدعاء المحتسب لهم ومعهم موازينهم وصنجهم ومكاييلهم فتعير في كل قليل فإن وجد فيها الناقص استملك واخذ من صاحبه بهذه الدار وألزم بشراء نظيره مما هو محرر بهذه الدار ثم سومح الناس وصار يلزم من يظهر في ميزانه أو صنجه خلل بإصلاح ما فيها من فساد والقيام بأجرته.

قاضي القضاة

لم يتسم قاضي مصر بقاضي القضاة إلا في عهد الدولة الفاطمية تشبهوا في ذلك ببغداد.

وكان الخليفة هو الذي يعين القاضي إلا إذا كان هناك وزير رب السيف فإنه هو الذي يقلد القضاة نيابة عنه.

وتكون رتبة القاضي أجل رتب أرباب العمامة وأرباب الأقلام ويكون في بعض الأوقات داعياً فيقال له حينئذ قاضي القضاة وداعي الدعاة ولا يخرج شيء من الأمور لدينية عنه ويجلس السبت والثلاثاء بربادة جامع عمرو بن العاص على طراحة وممسند حرير ويجلس الشهود حواله يمنة ويسرة بحسب تاريخ عدالتهم وبين يديه

خمسة من الحجاب اثنان بين يديه واثنان على باب المقصورة وواحد ينفذ الخصوم إليه.

وله أربعة من المرفعين بين يديه اثنان يقابلان اثنان وله كرسي الدواة وهي دواة محلاة بالفضة تحمل إليه من خزائن القصور.

ويقدم إليه من القصور بغلة شهباء وهو مخصوص بهذا اللون من البغال دون أرباب الدولة وعليها من خزانة السروج سرج محلي ثقيل وراءه فترفصه ومكان الجلد حرير وتأتيه في المواسم الأطواق ويخلع عليه الخلع المذهبة.

ولا يتقدم على القاضي أحد في محضر هو حاضره من أرب سيف أو قم أو لا يحضر أملاً كما ولا جنازة إلا بإذن ولا سبيل إلى قيامه لأحد وهو في مجلس الحكم ولا يعدل شاهد إلا بأمره ويجلس في القصر يومي الاثنين والخميس أول النهار للسلام على الخليفة.

وكان له النظر في ديوان الضرب لضبط ما يضرب من الدنانير وكان القاضي لا يصرف إلا بجنحة ولا يعدل أحد إلا بتزكية عشرين شاهداً عشرة من مصر وعشرة من القاهرة ولا يحكي أحد على الشرع ومن فعل ذلك أدب.

وكان القضاة على مذاهب الشيعة الإسماعيلية في الفروع إلا في عهد الوزير أبي علي بن الأفضل فإنه عين أربعة قضاة يقضي كل منهم بمذهبه إمامي وإسماعيلي وشافعي ومالكي.

داعي الدعاء

داعي الدعاء يلي قاضي القضاة في الرتبة ويتربا بزبه في اللباس وغيره ووصفة بأن يكون عالماً بمذاهب آل البيت ويقرأ عليه ويأخذ العهد على من يتقل من مذهبه إلى مذهبه وبين يديه نقباء من المعلمين ١٢ نقياً وله نواب كتاب الحكم في سائر

البلاد ومحضر إليها فقهاء الدولة وهم مكان يقال له دار العلم والجماعة منهم على التصدير بما أرزاق واسعة وكان الفقهاء منهم يفتون على دفتر يقال له مجلس الحكمة في كل يوم اثنين وخميس ومحضر مبيضا إلى داعي الدعاة فيأخذه ويدخل به إلى الخليفة في مدين الیومین فتلوه علیه إن أمكن ویأخذ علامته بظاهره ویجلس بالقصر لتلاوته على المؤمنین فی مکانین للرجال على كرسی الدعوة بالديوان الكبير وللنساء تجلس الداعي فإذا فرغ من تلاوته حضروا إليه لتقبل يده فيمسح على رؤوسهم بمكان العلامة (خط الخليفة) وله أخذ النجوى من المؤمنین بالقاهرة ومصر وأعمالها لاسيما الصعيد ومبلغها ثلاثة دراهم وثلاث فيجتمع من ذلك شيء كثير يحمله إلى الخليفة بيدد فيفرض له الخليفة منه ما يعينه لنفسه وللنساء وفي الإسماعيلية من يحمل ٣٣ / ٢ / ٣ دينار على حكم النجوى وكانت الدعوة تلقى إلى المدعويين مرتبة كما سيق فإذا تمت الدعوات حسب الترتيب أخذ على المرید العهد والميثاق وأن يستر جميع ما عرف إلا ما أطلق له أن يتكلم به وأن ينصح ويخلص للإمام.

ومن اشهر من قلد وظيفة داعي الدعاة أبو نصر هبة الله بن موسى بن أبي عمران الذي له مع أبي العلاء المعري مراسلات تدل علو كعبه في العلم والعرفان والجدل وسببها أنه سمع بيت المعري المشهور وهو قوله:

غدوت مريض العقل والرأي فألقي ... لخبر أنباء العقول الصانع

فكتب إليه من رسالة. فشددت إليه رحلة العليل في دينه وعقله إلى الصحيح الذي يبني أنباء الأمور الصحاح وأنا أو ملب لدعوته معترف بميزته وهو حقيق أن لا يواطني العشواء فيلك في اجاهل ولا يعتمد فيما يورده تليس الحق بالباطل وأول سؤالي عن أمر خفيف فإن استشقت نسيم الصبا سقت السؤال إلى المهم أسأله عن

العلة في تحريره على نفسه اللحم واللبن وكل ما يصدر إلى الجود من منافع حيوان الخ.

حول كربلاء

١ وصف جامع الحسين

إن الذي يجلب المسلمين إلى كربلاء هو وجود قبر الحسين بنت رسول الله وأخيه العباس بن علي رضي الله عنهم وقبور أصحابه واعوانه الذين استشهدوا معه في واقعة الطف أو يوم عاشوراء سنة ٦١ هـ - ٦٨٠ م وبذلك أصبحت كربلاء مقدس الشيعية ومزارهم فيأتي إليها كل سنة لزيارة الترتين - تربة الحسين وتربة العباس - من كل حدب وصوب زرافات زرافات وجماعات جماعات قادمين إليها من ديار قاصية وربوخ نانية كديار العجم وربوخ الهند وآسيا الوسطى حيث يكثر الشيعيون ولهذا ترى كربلاء لا تخلو من غرباء يعدون بالألوف للغرض نفسه.

وما نحن نصف للقراء ما في جامع الحسين من الأبنية الضخمة والترينات الفاخرة التي هي من أفخر ما يوجد به الشيعة في تديتهم وحبهم لآل البيت صنفين عن وصف جامع العباس لقرب المشاهدة بين الجامعين إن وضعاً وإن زخرفاً فنقول:

جامع الحسين من المساجد الرائقة البديعة الصنع، الفاتقة الحسن وهو من أعظم المساجد في العراق شأنًا، وأتقنها هندسة وصناعة، وأبدعها حسناً وبهجة، وهو على شكل مستطيل طوله قرابة ٧٠ متراً في عرض يقارب ٥٥ متراً وللمسجد ٦ أبواب فخمة جميلة الوضع وعلى كل باب طاق مرتفع معقود بالحجر القاشاني وكل باب ينتهي بك إلى حي من أحياء المدينة، وفناء المسجد كله فضاء واسع فصح الأرجاء مفروشة أرضه بالرخام البيض الناصع وكذلك جداره فإن وجه أسفله معشى بالرخام إلى طول مترين، وما أقول ذلك مني بالقاشاني الجميل القطع والنحت، ويحيط بفناء